- فبدت جديدة - كما قلنا - وكأن منطقة الإبداع هنا يغلب عليها ، وتشيع فيها لغة العصر من خلال تلك السياقات الجديدة المتميزة .

وبناء على هذه الرؤية يأتى الاقتراح بفتح مجال جديد لدرس المعارضات الشعرية من خلال مثل هذا التصور ، أو بما يقرب منه ، بحيث لا يضيع حق شعرائنا المعاصرين في البحث عن الجذور ، وتأمل مواقفهم إذا قيست بقياس التقليد والإبداع معا ، بعيدا أيضا عن منطقة السرقات الفنية من ناحية ، أو ادعاء توارد الخواطر - افتعالا - من ناحية ثانية ، أو الاستغراق في التضمين من ناحية ثالثة ، وهم - حينئذ - أقرب إلى منطقة التناص مع الموروث،وإثراء الجديد من خلال العكوف على القديم والإفادة منه من ناحية أكثر تميُّزاً ودقةً .

فلا شك أن ثمة تجديدا علىٰ مستوى الشكل بما يكفى للخروج من عباءة القديم ، وقد يتسق النمط المستحدث مع إيقاع العصر ، أو يفى بتصوير طبائع التجارب ، وعندئذ يشيع في النفس البشرية رغبتها الطموح إلى التجديد والمعاصرة والجري وراء صيغ الابتكار والإضافة ، وإن ظلت هذه المقولة نسبية تحتاج إلى المزيد من النقاش والمراجعة .

وليس معنى هذا أن نسقط حق التيار التقليدي فى نظم الشعر في أن يظل معارضا ، أو متأثراً بالقديم ، فهو أولى بذلك من سواه ولذا يمكن إتمام الرؤية التاريخية من خلاله على طراز ما رأيناه فى بعض الشوقيات ، وعندئذ تنعدم الحاجة إلى الجدل أو البرهان في هذا الجانب .

ولكن الموقف الذى لايزال بمثابة اقتراح يحسن تأمله أن نتوقف عند معطيات التجربة الشعرية لدى الشاعر المعاصر ، فإذا وجدنا فيها ما يشى بالتقاط مادة معادلة من واقع التراث ، اصطلحنا - وقتئذ - على دراسة عمله من خلال مفاهيم مرنة وفضفاضة للمعارضة الشعرية ، على أساس الطبيعة النوعية للتجربة وتوافق خيوطها ، مع التجاوز في قضية الشكل الجديد التى يجب ألا تقف حجر عثرة بيننا وبين التراث ، وإلا حكمنا بانقطاع المعاصرة عن ذلك التراث ، وهو حكم بالموت علي تاريخ أمة لا يجرؤ باحث - ولا يحق له - على إصداره إلا متجنيا على الحقائق ومتجاوزا المنطق الطبيعي للأشياء ، مما يبدو مرفوضا بكل المقاييس .

ويظل هذا الاقتراح مستندا إلى القرائن والشواهد العشوائية التى لم نقصد إلى رصدها قصدا ، ولا إلى تقنينها أو إلى إحصائها عَدّاً ، بل ربما تبيَّنا عنصرا ما من عناصر التجربة ،